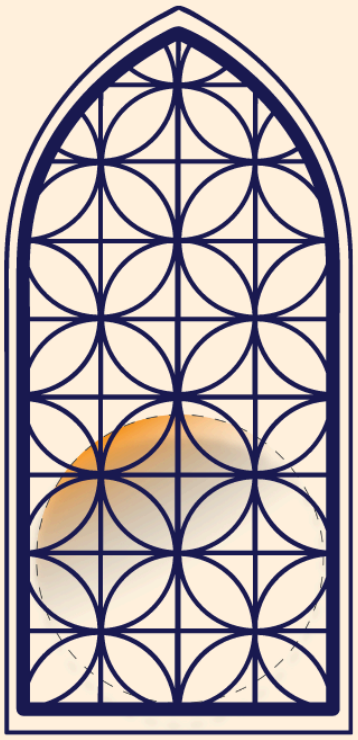

# لقاءات التفسير الرمضانية

أ . أناهيد بنت عيد السميري

١٤٤٣ من الهجرة النبوية الشريفة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

## اللقاء الخامس

الأربعاء 5 رمضان 1443

### سورة النساء الآيات (٢٦ - ٣٣)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا على ما أنعم علينا من النعم العظيمة في أبداننا وفي أموالنا وفي حياتنا، وفي ديننا، وهي من أعظم نعمه -سبحانه وتعالى- فلله الحمد ولله الشكر والثناء كله على رب العالمين، العظيم الكريم، الرحيم، الذي خصنا بهذا الدين.

لا زلنا في سورة النساء نقف مع آياتها العظيمة التي فيها بيان للشرع العظيم الذي منّ به علينا رب العالمين وعلى هذا الشرع حصل حسد الحاسدين. بإذن الله نناقش اليوم ما يتيسر من الآيات في سورة النساء، من الآية: (26) إلى الآية: (33):

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا (28) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (31) وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32) وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (33))

هذه الآيات المباركات التي استمعنا لها أتت بعدما أتم -سبحانه وتعالى- الإخبار عن الحلال والحرام والحدود والأحكام، وختم هذا السياق السابق بأنه (الغفور الرحيم) فأخبر عن رحمته في هذه الحدود وفي هذه الأحكام، وأراد هنا -سبحانه وتعالى- أن يذكرنا بهذه النعمة، كنا أمس سمعنا أن الله قد قال لنا في سورة النساء: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) وبيّن لنا أن من يقف على الحدود يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار، وأن مَن يعصَ ويتعدَّ الحدود؛ يدخله نارًا خالدًا فيها. ثم ذكرت أيضًا أخبارًا عن الحلال والحرام، وهنا تبيّنت منّة الله علينا بهذه الأحكام؛ بالحلال والحرام وبالحدود، لكي نتذكر نعمته فنشكرها ونحذر من أن ننسى هذه النعم فنكفرها، خصوصًا

مع ما قد تبيّن لنا فيما سبق وسيتبيّن لنا الآن من حرص أهل الباطل على إفساد أهل الإيمان، فيقول -عزّ وجلّ- :

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)

(يُرِيدُ اللَّهُ) ربنا، وهو الموصوف بأنه أحسن قيلًا، وأحسن حديثًا يحدثنا عن إرادته الشرعية -سبحانه وتعالى- فلنستمع لحديث الله، يحدثنا -عزّ وجلّ- أنه أراد بهذه الأحكام البيان، وهذه هنا إرادة شرعية، أي: يريد الله شرعًا بهذه الأحكام أن يبيّن لنا بيانًا شافيًا ما لنا وما علينا من شرائع الدين التي سيكون عليها الحساب في يوم الدين، والله يريد لنا هذا البيان وقد كان بلسان عربي مبين ليبيّن لنا، وأيضًا يحدثنا رب العالمين أنه يريد أن يهدينا سنن -بمعنى طرق- الذين من قبلنا من أهل الكتاب؛ الأنبياء وأتباعهم، ويتوب علينا -سبحانه وتعالى- فيفتح لنا أبواب التوبة والعودة عن كل شيء لا يرضيه، فهو -سبحانه وتعالى- يريد أن يبيّن لنا ويريد أن يهدينا. ويريد أن يتوب علينا، هذه كلها من إراداته، فأما يبيّن لنا فواضح، فهذا الدين بين واضح.

وأما أن يهدينا فهو -سبحانه وتعالى- أراد أن يبيّن صراط الذين أنعم عليهم فيما سبق من الأمم، وأراد -سبحانه وتعالى- بهذا أن نكون في المكان الذي يرضاه عنا، فـ(يتوب علينا) بمعنى توبة التوفيق، وتوبة القبول، كما مر معنا بالأمس، أنه

-سبحانه وتعالى- يريد ليتوب علينا، أن يوفقنا للتوبة ويقبل منا هذه التوبة (لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ)[1] إلى أن يقول -عزّ وجلّ- : (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا) إذًا توبة الله توفيق للتوبة وقبول للتوبة.

فحين يبيّن لنا الشريعة ويبيّن لنا أحوال المستقيمين الذين ساروا قبلنا ونحن نسير في نفس الصراط المستقيم الذي ساروا عليه بإرشاد رب العالمين وببيان رب العالمين، فبهذا يُفتح لنا باب التوفيق للتوبة، يكون مُشْرعًا أمامنا فنسير في الطريق الذي به يتوب علينا رب العالمين ويقبل منا التوبة، كل هذا يبيّن لنا أي شيء -إرادة الله أن يبيّن لنا وأن يهدينا وأن يتوب علينا-؟ كل هذا يرجع إلى ما مضى من بيان، فالله يريد أن يبعدنا عن كل شر، وعن كل كبيرة، وعن كل إثم، مثل منع النساء والأطفال الإرث، ومثل نكاح ما يحرم نكاحه، ومثل الحرام الذي أُخبرنا به في الآيات السابقة.

وبيّن -عزّ وجلّ- هنا بيانًا مهما في بيان: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الطلب الذي نطلبه في سورة الفاتحة، وأننا نقول إننا نعلم أن هذا الصراط صراط القوم الذين أنعمت عليهم، قد سار فيه قبلنا كثير، فهنا واضح أن الله يهدينا سنن الذين من قبلنا، فيسلك لنا صراط الذين أنعم عليهم -سبحانه وتعالى- وهذا أدعى لقبولنا وأعون لنا للامتثال.

---

[1]() التوبة: 117.

وأيضًا هذا مما يساعدنا على ردّ شُبه أهل الكتاب الذين يحسدوننا لمشاركتهم في هذه المنن؛ لأنهم هم هدوا قبلنا لهذه السنن، فلما جاء الإسلام وشارك أهل الإسلام أهل الكتاب في نزول وحي وفي معرفة السنن التي ترضي رب العالمين، حصل في قلوبهم بغض وكراهية؛ لذلك قال الله -عزّ وجلّ- : (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فلا يشرع لنا شيئًا إلا وهو في غاية الإحكام، فالواجب أن نعمل بما يوصلنا إلى دار السلام.

المتأمل في سورة النساء يجد أن فيها من العلم الغزير الذي يحتاج أن يقف الإنسان أمامه الوقت الكثير خصوصًا حين يفهم هذه الآية التي تبيّن سعة رحمة الله بعباده، حيث أراد أن يبيّن لهم أن هذا كله من لطفه وكرمه ألا يدع الناس على جهلهم.

(لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) معناها: أن الشرع ما فيه شيء خفي لكن يخفى على الإنسان لأسباب منها:

- قلة العلم.
- ومنها قصور في الفهم.
- وأحيانًا يكون سوء قصد.
- وأحيانا يكون تقصير في العلم.

فأما قليل العلم فالواجب عليه أن يراجع ويطالع ويتعلم، وقصور الفهم علاجه يكون بالتمرين وبمحاولة الفهم،

والإنسان الذي قصر في الطلب يقال له إذا فتحت لك أبواب العلم ما بالك تقصر، ولا تتحمل هذه المسؤولية العظيمة؟! لقد منّ الله علينا بهذا وهذا من سعة رحمته -عزّ وجلّ-، وأما القوم الذين لديهم سوء قصد، الذين يريدون أن ينصروا أقوالهم أو أحزابهم أو كذا فهؤلاء عليهم أن يكونوا صادقين في إرادة الحق ولا يستعملوا الحق لأجل أن يخدم فكرة في ذهنهم، والله المستعان!

المقصد أننا في نعمة عظيمة، من أول هذه السورة التي أمرت بالتقوى وحثت عليها وبيّنت الفرائض وبيّنت ما يحلّ ويحرّم من النساء، والتحري في الأموال، والإحسان إلى الناس، لا سيما الأيتام والوالدين، وأمرت بالإذعان للأحكام وحرّمت القتل وأمرت بالعدل في الشهادة، كل هذه الأمور من فضل الله -عزّ وجلّ- علينا أنها ظهرت لنا وبُيّنت، وهذه الآية تبيّن أن هذه الأمور كلها أصولها موجودة في التوراة، وهذا أمر مبثوث في كل الأديان. نعم، القرآن أحسن بيانًا وأبدع شأنًا وألطف عبارة وأدق إشارة، ومع ذلك أصول هذه الأمور معروفة في أديان قبلنا؛ لذلك لا بد أن نعلم أننا في نعمة عظيمة فلنكن من الشاكرين لهذه النعماء، بالاجتهاد في طلب العلم وفي معرفة ما بيّن -عزّ وجلّ- ونكون على حذر من الأعداء الذين يريدون أن يقللوا هذه النعمة في أعيننا، كما يخبر -عزّ وجلّ- لنا:

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)

هنا أكّد -عزّ وجلّ- أنه يريد التوبة علينا، والتوبة من الله، كما هو متبيّن، توفيق ثم قبول، والله يفرح بالتوبة، فمرتين في هذه الآيتين يخبرنا الله -عزّ وجلّ- : (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ).

ثم مرة أخرى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ).

سبحان الله، ما ألطف الله بنا! يريد الله بإرسال هذا الرسول وبإنزال هذا الكتاب وببيان هذه الأحكام أن يتوب عليكم فترجعوا عن طريق الشقاء والضلال، إلى طريق السعادة، إلى الصراط المستقيم، وهو -سبحانه وتعالى- من صفاته أنه (تواب) ومن صفاته -عزّ وجلّ- أنه (يفرح بتوبة العباد) وهو (الغني) وقد ثبت عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه قال: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن أَحَدِكُمْ كانَ علَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ منه وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فأيِسَ منها، فأتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قدْ أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذَا هو بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فأخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ.»[2] ففهمنا لفرح الله بتوبة العباد وبعودتهم إلى الصراط، يدفعنا دائمًا إلى طلب العلم ومعرفة ما يرضي الله لكي نعود من الخطأ إلى الصواب، ونعود من الإثم والعقاب

---

[2]() أخرجه مسلم (2747).

إلى الأجر والثواب. الله -عزّ وجلّ- غني عنا لكنه -سبحانه وتعالى- يحب التوبة لمصلحتنا، فلنكن كما يحب الله.

ولاحظ هذا التأكيد: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) تأكيد لما مضى وزيادة بيان وتوطئة لما سيأتينا. الله يريد أن يتوب علينا في مقابل ذلك: (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) هناك قوم يجب أن تعرفهم، ونلاحظ اسم الموصول (الذين) يدل على أن هذه صفة ثابتة فيهم، وأن هذا حالهم، فحين تسمع الدعوات يجب أن تسمي أصحابها بالاسم الصحيح؛ هل هم دعاة إلى الخير والصلاح؟ أم هم الذين يريدون أن تميلوا ميلًا عظيمًا؟ فانظر إلى صفتهم -إذا نظرت لصفتهم سيتبيّن هذا الأمر- :

- إذا كانت دعوتهم إلى خلاف الشريعة وأرادوا أن يجعلوا الناس متبعين للشهوات، ويجعلوا الناس منفرطين في شأن دينهم؛ فاعلم أن هؤلاء يتبعون الشهوات ويريدوا أن تميلوا ميلًا عظيمًا. يميلون مع الشهوات ويقدمونها على رضا رب العالمين، يصلون أن يكونوا عبدة لأهوائهم، وهذا كثير في الكفار وكثير في المنافقين، ويتبعهم بعد ذلك العاصين، فيقدموا أهواءهم على طاعة رب العالمين.

فهؤلاء لا يريدون لكم الصراط المستقيم أبدًا، إنما يريدون أن تميلوا وتنحرفوا عما يريد الله بكم وعن دعوته لكم للتوبة ميلًا عظيمًا، وتنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين، يريدوا أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة الشيطان، يريدوا أن يمنعوكم السعادة بوهم ينقلون الخلق من السعادة إلى الشقاوة بأوهام يبثونها بين الناس، يأمرون الناس بما فيه الشقاء ويصورونه على أنه سعادة وهناء وأن هذه حرية وأنهم يفعلون ما يريدون لا يقيّدهم شيئًا، وعلى أنهم لا يعبدون ولا يشعرون بثقل التكاليف! وهم في الحقيقة يعبدون الشيطان، وقد كلفهم تكاليفًا أدمت قلوبهم، وأذهبت بقواهم، لكن سبحان الله، هؤلاء كالعمي والصم، زُين لهم ما هم فيه، نعوذ بالله من الضلال.

فالواجب علينا مع دعوة هؤلاء لكل هذا الباطل وخصوصًا عندما ترى جهودهم في هذا الشهر المبارك كأنهم كُلفوا تكليفًا! جهود لنشر الباطل في كل مكان وشغل أهل الإسلام عن الصلاة وعن العبادة، بمسلسلات يسلسلون بها قلوب العباد وببرامج يجعلون الناس فيها في حال من الانفلات عن تعظيم هذا الشهر المبارك، وكل هذا من كيد الشياطين، نعوذ بالله من الشيطان، نعوذ بالله من هؤلاء الذين يتبعون الشهوات، فالواجب علينا: مخالفة هؤلاء الأعداء الحسودين، الجاهلين النازلين من مرتبة العقلاء إلى حضيض السفهاء، والذين يريدون أن ينقلوا أهل الإيمان لهذه الحالة.

(يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا)

(يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ) هذا البيان وهذه الأحكام كلها لسبب واضح، وهو أن يخفف الله -عزّ وجلّ- عن الخلق، يخفف عنهم ما ابتلوا به في نفوسهم، وانظر إلى كل الشريعة وانظر لها من باب أنها غاية في التخفيف، الصيام أيام معدودات، الصلاة أوقات محدودات، الزكاة مال قليل من نعماء عظيمة من رب العالمين؛ ولذلك حتى الذي يقول: أنا سأفعل أكثر وأكثر. الشريعة تقول له: كن متوازنًا؛ ولذلك لما قال عبد الله بن عمرو بن العاص: "لأصومنّ الدهر ما حييت ولأقومنّ الليل ما بقيت" من شدة حبّه لهذه الاعمال، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- نهاه قال: «إنَّ لنَفْسِكَ عليكَ حقًّا، ولِرَبِّكَ عليكَ حقًّا، ولِضَيْفِكَ عليكَ حقًّا، وإنَّ لِأهلِكَ عليكَ حقًّا؛ فأَعْطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ»[3] والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- قد قال لنا إنه -سبحانه وتعالى- لا يكلفنا من العمل إلا ما نطيق.

فهذه هي الشريعة وليس كما يصورون أنها ثقيلة وأنها صعبة وأنها تكاليف مرهقة، وإنما المصلحة لك يا عبد الله، المصلحة لكِ يا أمة الله في تزكية نفسك وفي الوصول إلى رضا الله الذي وراءه جنات النعيم، لكن دائمًا الذين يتبعون الشهوات لأنهم يريدون أن تميلوا ميلًا عظيمًا، تصيروا إلى ما هم عليه من الضلال، تميلوا عن سبيل الرشاد إلى سبيل

---

[3]() صححه الألباني.

الضلال فيحاولوا أن يهولوا الأمور ويصعبوها، لكن رب العالمين، وهو العليم الحكيم، خفف على الإنسان بهذه الأحكام؛ ولذلك يجب عليك أن تتعلمها ولا تأخذ دينك من ألسنة الخلق، وإنما اجلس للعلم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، تعلم على يد العلماء الراسخين ولا تأخذ الدين كوجبات خفيفة، ثم لا تجد مقصد رب العالمين في هذا الكلام الذي يأتيك من اليمين ومن الشمال، فلا تدري هل قال أهل الحق هذا الكلام؟ أم هذا كلام الذين يريدون أن تميلوا ميلًا عظيمًا؟ الله -عزّ وجلّ- هو العليم بنا، يعلم -عزّ وجلّ- ما يصلحنا، فالله يريد أن يخفف عنا (وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) خلقه الله -عزّ وجلّ- ضعيفًا في كل أموره، في جسمه وإرادته وعلمه وعقله.

وانظر إلى أحوالنا في كل شيء تجد كل شيء يتعبنا، الصيف يتعبنا، الشتاء يتعبنا، البرودة والحرارة تتعبنا، الجوع يتعبنا والشبع يتعبنا، سبحان ربنا العظيم، فهذه حال الإنسان! فليكن الإنسان سائرًا على هدي الرحمن فيجد التخفيف منه سبحانه وتعالى.

انظر مثلًا -ونحن في هذا الشهر المبارك- إلى الأعمال اليسيرة التي أمرنا بها؛ صيام ساعات محددة، وقيام ساعات محددة، وتلاوة للقرآن بألسنتنا، وكثرة الذكر يرضاه ربنا، هذا كله الحمد لله يسير، وكل هذا يأتي عليه أهم شيء؛ وهو: طلب المعونة من رب العالمين، مع كل هذا التيسير لكن ربنا ما

تركنا وحدنا، إنما أمرنا في عباداتنا أن نطلب المعونة منه -سبحانه وتعالى-.

بعد ما سمعنا هذا الوصف لشرع الله، ننتقل هنا إلى شرع مهم من ضمن ما شرع رب العالمين، ومن ضمن ما أمر -سبحانه وتعالى- المؤمنين وهو الكلام عن الأموال، وهذا الكلام عن الأموال يهمنا جدًا اليوم خاصة والناس نفوسهم في غاية التعلق بالأموال، وفي غاية الحرص عليها، وللأسف الشديد الفكر الرأسمالي قد أخذ من الناس مأخذًا عظيما، حتى أن الناس أصبح رضاهم عن ربهم مبني على مقدار ما يعطيهم من الدنيا! فكان الواجب علينا أن نذكّر بالآيات والشرع الذي أخبرنا به رب العالمين وأمرنا به لتنضبط مسألة الأموال في نفوسنا، ولا نكون من أهل الأطماع الذين يحصل لهم من آثار الاهتمام بالمال الإهمال للشرع والدين ورضا رب العالمين.

انظر هنا ماذا يقول لنا رب العالمين، يقول لنا:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بما معكم من إيمان، فليكن إيمانكم داعيًا لكم لئلا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل.

أولًا: أول ما نسمع هذه الآية وأمثالها في القرآن، يجب أن نعلم، ونتأكد أن مال المسلم معصوم مثل عصمة دمه، الأصل في أموال المسلمين ودمائهم العصمة. ثم إن رب العالمين قال: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) أنتم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) كأنكم شيء واحد، فمال أخوك المسلم كأنه مالك، فيقول لنا رب العالمين من أجل أن نلتزم بهذا الخطاب المبيّن لأحوال المؤمنين مع المال، يقول لنا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أنت مؤمن؛ إيمانك يحملك على هذا الأمر، فهذا النداء لأجل أن يحصل في قلوبنا الالتفات إلى ما يأمرنا به رب العالمين؛ لا تأكلوا أموالكم، هذا المال الذي تتمولونه قليل أو كثير، سواء كان عروض أشياء أو نقود، أيًّا كان لا تأكلوا أموالكم بينكم بالتعامل بالباطل، الباطل بمعنى: الضائع، الذي يكون سدى، الهالك، الذي لا خير فيه فلا ينفع، وهذا مثل ما مر معنا من الكلام عن الربا وهذا فيه الغش والكذب والتدليس. وهذا أيضًا يكون اليوم بصورة خفية، توجد صورة خفية لأكل أموال الناس بالباطل، وهو أن يحصل بين الناس محاولة إقناع للناس بأن يشتروا شيئًا لا ينفعهم، أو أن يشتروا شيئًا لا يحتاجونه.

وهذا كله من آثار الرأسمالية في الحقيقة؛ لأن الرأسمالية بنيت على أمرين:

- الأمر الأول: أن نحاول إقناع الناس أن يشتروا شيئًا لا ينفعهم، ويُشعر الناس أنهم لو ما اشتروه أنهم ناقصون. وهذا يحصل دون أن تكون هناك التفاتة أو

أن يكون هناك إحساس أننا نقع في شيء خطأ، أكون مثلًا فتحت هذا المشروع أو حصل لي أن أقنعني أحدًا به، أنا بنفسي كنت ضحية، وأقنعني أحدًا بهذا المشروع وهو أن أعمل أشياء لا فائدة فيها وأبيعها للناس، ثم أنا أيضًا أبدأ ببذل جهدي وبالقيام بإعلانات، والأمور اليوم سهّلت بين الناس أن يحصل هذا، وأقنعهم وأبيع لهم شيئًا لا ينفعهم.

- الأمر الثاني: أن يروج بين الناس بضائع هي ذات أهمية ولا إشكال في نفعها لكن الناس لا يحتاجون منها النسخة الجديدة، لا يحتاجون منها كل تجديد يحصل فيها، فحين يكثرون الإعلانات ويكثرون التأثير على الناس بهذه العوامل التي قد تكون بمثابة عوامل ضغط على نفسية الناس خصوصًا النساء؛ لأن النساء ضعيفات أمام هذه العروض المتكررة التي تشعرك أنك لا شيء بدون هذه البضاعة، ماذا يحصل عند النساء؟ تشعر بالشره للشراء.

-فهنا تبدأ المشكلة من عند صاحب البضاعة، الذي هو في البداية أول من بدأ بيع ما لا ينفع.

-ثم تأتي المشكلة من المشتري نفسه الذي يشتري شيئًا لا ينفعه أو يشتري شيئًا ليس بحاجة له.

إذًا كيف تحصل عملية أكل الناس أموال بعضهم بالباطل؟

أنا صاحبة البضاعة، أقنع من أمامي أنه بحاجة إلى تجديد جواله، -مثلًا- بأي صورة كان هذا الإقناع، أيا كانت طريقة وصول هذه الرسالة، المهم أن أركز أن أقنع من أمامي أن يشتري شيئًا ليس محتاجًا له أو يشتري شيئًا لا نفع فيه، وهذه أمثلتها لا تنتهي ويسمونها "اكسسوارات، كماليات" وكلها في النهاية لا تنفع، ويشتري بالمبلغ الكبير، وإن كانت قد تكون أشياء بمبلغ زهيد لكن لو وضعت هذا المبلغ الزهيد على هذا المبلغ الزهيد لانتفعت به!

إذًا هذه الفكرة الأساسية في كل أكل أموال الناس بالباطل، وهذا غير التجارة.

إذًا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) فدم المسلم ومال المسلم معصوم فنفوسهم وأموالهم سواء لا تتفاضل باختلاف منازلهم، أو مراتبهم، أو أجناسهم، أو أعراقهم، عصمة مال الصغير ودمه كعصمة مال الكبير ودمه، عصمة مال المرأة مثل عصمة مال الرجل، عصمة مال الضعيف مثل عصمة مال الشريف، صاحب الشخصية القوية عصمة ماله مثل عصمة صاحب الشخصية الضعيفة، لا نأتِ لأحد نستطيع أن نضحك عليه فنأخذ منه! لا، بل كلهم معصومي الدماء، وكلهم معصومي الأموال.

ونلاحظ عصمة الإسلام لهذه الأموال، فالأموال جعلها الله قيامًا للناس فلا تؤكل بالباطل، إلا أن تكون هذه المعاملة المتداولة (تِجَارَةً) والتجارة الأصل فيها الحل؛ لأن الله استثناها من أكل أموال الناس بالباطل، وهنا حين نسمع (عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ) لا تفهم هذا القيد خطأ، قد يكون ربا أو يكون غرر، والغرر هو الذي ذكرناه بالصورتين، أن تغر من أمامك باختصار، فالربا أو الغرر ولو عن تراضٍ هذا أيضًا سيكون حرامًا.

(عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ) هذه كصفة كاشفة تبيّن التجارة لأن التجارة الأصل فيها البيع والشراء لما ينفع، والأصل في النفوس المسلمة أنها لا ترضى بالباطل والحرام.

لما بيّن الله -عزّ وجلّ- : (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ) إلا أن يكون هذا الأكل، هذا التعامل بينكم بالتجارة والتجارة تكون عن تراضٍ، بمعنى أن التجارة ليست من جنس أكل الباطل لأن أكل الباطل يوجد فيه ضغط على المأكول ماله، أما التجارة فهي أمر مبني على الرضا من الطرفين بدون أي ضغوط.

بيّن -عزّ وجلّ-، ليعظم في نفسنا هذا الأمر (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) ليعظم في أنفسنا أمر المال اقترن معه تحريم قتل النفس.

ما العلاقة بين المال والنفس؟

هنا أمر عظيم وإشارة مهمة، المال عديل الروح، والله نهى عن إتلافه بالباطل ونهى عن إتلاف النفس، وأحيانًا يحصل اقتران بين أكل الناس أموالهم بينهم بالباطل وبين قتل النفس، حين يشعر الإنسان أنه خُدع، وهنا نتكلم عن الخديعة الكبيرة العظيمة التي قد تكون بالملايين مثلًا، فلا يجد إذهابًا لغيظه بعدما انتصر عليه غيره وأكل ماله بالباطل، ما يجد إلا أن يقتله حلًّا لذلك! وكثير من قضايا القتل أصلها خلافات حول الأموال كثيرة كانت أو قليلة، خصوصًا الرجل الحر حين يشعر أنه قد أهين بأن خدعوه ما يجد إذهابًا لغيظه إلا بالقتل وهذا بسبب الشيطان، هذا ليس بعمل الإنسان الحر؛ لأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[4] لكن هذا الواقع الحاصل بين الناس.

هذا سبب للقتل، وهناك سبب آخر للقتل: خسارة الأموال تسبب القتل، لو فهمنا (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ) النفس هنا بمعنى نفسكم التي بين جنبيكم، سنرى أن كثيرًا من أحوال الانتحار والقتل إنما تكون بسبب خسارة في الأموال، أنهم أكلوا ماله بالباطل فيقتل نفسه! توجد حادثة قريبة في أحد دول الكفر، وليس بعد الكفر ذنب، لكن مثل هذه الأمور تتسرب في المجتمعات، لما خسر في التجارة قتل نفسه وقتل أهل بيته -الله يعيذنا ويحفظنا- والسبب في ذلك شعوره أن الحياة صعبة مع

---

[4]() أخرجه البخاري (6114).

الفقر وأنه لا يمكن أن يعيش ومن أين سيأكل؟! فقتل هؤلاء الذين كان يرعاهم وقتل نفسه! وهذه أمور متكررة.

فهذه الآية فيها دليل على عصمة مال المسلمين وعصمة دمائهم، ونلاحظ أن الخديعة في الأموال وأكلها بالباطل ستكون غالبًا سببًا للانتقال لما هو أعظم منه وهو القتل!

فلما أخبرنا -سبحانه وتعالى- عن حرمة المال وحرمة القتل، ذكر في الآية التالية:

(وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

أن من يفعل ذلك (عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) وهنا يأتي حكم القتل، الذي يفعل هذا متعديًا فيه، ظالمًا في تعاطيه (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا) فجريمة القتل جريمة من أعظم ما تكون من الجرائم التي عظّمتها الشريعة وعظّمت الذنب وعظّمت العقوبة، وجعلت ذلك عدوانًا، وجعلت ذلك ظلمًا، فحين نجد التهاون في أكل أموال الناس بالباطل وفي قتل النفوس، ومن يفعل ذلك: يأكل أموال الناس بالباطل مما يجرّ قتل النفوس (عُدْوَانًا وَظُلْمًا) سيكون إثمه عظيمًا وسيصليه رب العالمين نارًا، وكان ذلك على الله يسيرًا.

ماذا يظن العباد؟ هل يظنون أنهم لو خالفوا أمر رب العالمين يتركهم؟! لا والله لا يتركهم، بل يدخلهم في عذابه، وهذا يسير على رب العالمين.

ثم بيّن -عزّ وجلّ- أن جريمة أكل أموال الناس بالباطل ومن ثمّ جريمة القتل، سواء انجر هذا بسبب هذا أو كانت هذه الجريمة وحدها وهذه الجريمة وحدها، كما أنها سبب لأن يدخل الفاعل النار، فكذلك اجتنابها واجتناب الكبائر جميعًا سبب لتكفير الخطايا، فأتى هنا قوله -عزّ وجلّ- :

(إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)

(إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) هذا معناه أن هناك في الذنوب كبائر وصغائر! بعدما ذكر الله حدوده والذنوب والكبائر وبيّن أن من فعلها -خصوصًا كبيرة أكل أموال الناس بالباطل والقتل- سيكون في جهنم، بعد ما ذكر ذلك -عزّ وجلّ-، بيّن وجوب الإقلاع عنها لنيل عفو الله وصفحه ومسامحته وأن في الذنوب كبائر وصغائر، من اجتنب الكبائر كان تركه لها موجبًا لعفو الله له عن الصغائر واللمم، وهذا من فضل الله -عزّ وجلّ-، وهذا لا يعني الاستهانة بالصغائر، فالصغائر حين تجتمع على العبد تهلكه، لكن المطلوب أن يجتنب الإنسان الكبائر (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) فإذا حصل من العبد اجتناب الكبائر والكف عنها كان هذا سببًا لأن يكفر الله -عزّ وجلّ- عنه الصغائر، فإذا لم يجتنب الكبائر كانت عليه الكبائر والصغائر، وإذا اجتنب الكبائر كفر الله عنه الصغائر بهذه الأعمال الصالحة؛ فالنبي قال: «الصَّلواتُ

الخمسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، كَفَّاراتٌ لمَا بَينَهُنَّ ما اجتُنِبتِ الكَبائِرُ.»[5]

فالمطلوب من الإنسان أن يفكر في عظم أثر الكبائر عليه، وأن يفتش في نفسه هل هو واقع في باب من أبواب الكبائر؟ هل هو على هذا الباب أو ولج هذا الباب؟! وأعظم الكبائر: الشرك، والشرك الأكبر والشرك الأصغر من الكبائر، الرياء من الكبائر، حين يقول الإنسان: ما دخلت في الكبائر نقول: والرياء من الكبائر في باب الشرك، الزنا والربا وشرب الخمر وقتل النفس المعصومة، أكل أموال الناس بالباطل، كل هذه من الكبائر، فليراجع الإنسان نفسه ليتب، الغيبة من الكبائر، وأمور كثيرة تحتاج إلى مراجعة فيبقى الإنسان تائبًا منها.

ما الذي سيربحه الإنسان لو تاب من الكبائر؟ لاحظها وتاب منها؟ ستكفر عنه الصغائر التي هي لو اجتمعت أهلكته، وأيضًا يدخله الله مدخلًا كريمًا، المدخل الكريم هو الجنة لأنها دار الكرام، دار الفضل والإنعام ودار السلام، فيدخله الله -عزّ وجلّ- جنات النعيم، هذا دليل على أن رب العالمين يغفر له ذنوبه ويكفر عنه سيئاته ويكون بذلك خاليًا من موانع دخول الجنة. لكن كثير من الخلق يشعر أن ليس له في أبواب الكبائر

---

[5]() أخرجه مسلم (233).

نصيب، لا يدري أنه يمكن أن يدخل الإنسان باب الكبائر وهو لا يدري؛ لذلك انظر الآية التي بعدها قال -عزّ وجلّ- :

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) هنا يظهر لنا أمر مهم وهو التمني الباطل الذي يظهر منه الاعتراض والكراهية لتقدير الله وحكمه، فلنكن على حذر من أن يظهر منا اعتراض على حكم الله واعتراض على تقدير الله، واعتراض على شرع الله، فهذه الآية (وَلَا تَتَمَنَّوْا) فيها نهي من الله أن يتمنى الرجال منازل النساء وأحكامهن، ونهي للنساء أن يتمنين منازل الرجال وأحكامهم، فالله -عزّ وجلّ- قسّم الخلق والرزق بحكمته وهذا ليتم نظام العالم، ويتم نظام الحياة، وكلّ جعله الله في حاله حالًا حسنة، كّل جعله الله على خلقه خلقة حسنة وإن رأى أن غيره أحسن منه من وجه، فالله كمّله من وجه آخر، لكن هذه نفوسنا يقصر نظرها ولا تنظر إلى جميع الوجوه ليصحّ النظر، فيصح الحكم، وهذا خطأ!

فلنكن على حذر من أن نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض، وليرضَ كلّ منا بما قُسم له، والله له كمال العدل لم

يظلم أحدًا، فالله ما خصّ جنسًا بعمل صالح إلا وجعل للجنس الآخر ما يساويه في الأجر، مثلًا الجهاد الله كتبه على الرجال ولم يحرم النساء من أجره، كما جاء في حديث عائشة لما سألت الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- : أعلى النساء جهاد؟ قال «نعمْ، عليهنَّ جِهادٌ لا قِتالَ فيه؛ الحجُّ والعُمرةُ»[6] هذا من عدل الله وحكمته وفضله، وهذه قاعدة: لا يحرم الله أحدًا من عمل إلا جعل غيره يساوي ما يعجز عنه.

الآن نترك المرأة والرجل ونفكر في إنسان مشلول لا يستطيع القيام والقعود والحركة. هل تفوته الأجور؟ لا، بل ما لا يستطيعه من العبادات القولية أو العبادات البدنية يعوض عنها بإرادات قلبية ويكون في حقه نفس الأجور ليدرك المنزلة. لا بد أن نعرف أن تمني ما لا يمكن تحقيقه يورث العجز والحسد ويحصل به تمني زوال النعمة عن الغير، وكله يرجع إلى الاعتراض على قدر الله، فنحن لا نتمنى ما فضل الله به بعضنا على بعض ولا نتمنى ما للغير لأجل الدنيا مثلًا، ولأجل تكثيرها ومتعها، ممكن نتمناه لنعمل عملًا صالحًا، هذا لا بأس به، نتمنى الخير لفعله لكن لا يكون بيننا تحاسد على الدنيا، وقد ورد في الحديث: «لَا تَحَاسُدَ إِلَّا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهو يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يقولُ: لو أُوتِيتُ

---

[6]() صححه الألباني.

مِثْلَ ما أُوتِيَ هذا لَفَعَلْتُ كما يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا يُنْفِقُهُ في حَقِّهِ فيَقولُ: لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كما يَفْعَلُ»[7].

المقصد أن كثرة التمني ومثل هذه الأمور تغيّب حكمة الله في نفوس العباد، في تقسيم أرزاقهم ومعاشهم، فالله يعطي العبد هذا العطاء ليصلحه ويحرمه شيئًا آخر ليصلحه؛ لأن هناك فرق بيننا ولو تمنى المحروم ما للمرزوق لفسد! لكنه يتمناه لأجل أن يكون في نفس حاله من العطاء فقط، وقد روي عن الحسن البصري أنه قال: "لَا يَتَمَنَّ أَحَدٌ الْمَالَ وَمَا يُدْرِيهِ لَعَلَّ هَلَاكَهُ فِيهِ".

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا من الناجين؛ من المبتعدين عن الكبائر التائبين منها ومن الصغائر. اللهم تقبل أعمالنا وكفر سيئاتنا وارفع درجاتنا واكتبنا من عتقائك من النار.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

[7]() أخرجه البخاري (7232).

# الفهرس


اللقاء الخامس 3

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) 4

(وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) 8

(يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) 11

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) 13

(وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) 18

(إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا) 19

(وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ۚ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) 21

الفهرس 24